جيل دلوز (1925_ 1995):

كان جيل دلوز (18 يناير 1925 – 4 نوفمبر 1995) واحدًا من أكثر الفلاسفة الفرنسيين تأثيرًا وشهرا وغزارة في الإنتاج في النصف الثاني من القرن العشرين. يرى دلوز الفلسفة بوصفها إبداعًا للمفاهيم، ويصف نفسه بأنه ميتافيزيقي محض ويحاول دلوز في رائعته العظيمة "الاختلاف والتكرار" أن يطور ميتافيزيقيا تتناسب مع الرياضيات والعلوم المعاصرة إنها ميتافيزيقيا يُستبدل فيها مفهوم الماهية بمفهوم الكثرة، ومفهوم الجوهر يُستبدل بالحدث، وتحل الافتراضية محل الإمكانية. وقدم دلوز أيضًا دراسات حول تاريخ الفلسفة (عن هيوم، **ونتشه**، وكانط، وبرغسون، وسبينوزا، **وفوكو**، ولايبنتس) وحول الفنون (كتابين دراسة عن السينما، وكتب عن بروست وزاخر مازوخ، وعمل عن الرسام فرانسيس باكون، ومجموعة مقالات عن الأدب.) ونظر دلوز إلى تلك الأعمال الأخيرة بوصفها فلسفة خالصة، وليست نقدًا، طالما أنه سعى نحو خلق مفاهيم تتوافق مع الممارسات الفنية للرسامين، وصانعي الأفلام والكُتّاب. والتقى دلوز مع الناشط السياسي والمحلل النفسي الراديكالي فيليكس غوتاري في 1968، والذي كتب معه عدة أعمال، من بينها مجلدي الرأسمالية والسكيزوفرينيا Capitalisme and Schizophrénie، ويشملان كتاب ضد – أوديب Anti-Oedipus (1972) وكتاب ألف هضبة .A Thousand Plateaus (1980) وكان تعاونهم الأخير هو كتاب ما الفلسفة؟ .What is Philosophy? (1991)

بالإضافة إلى الأعمال الأخرى منها:

_ التجريبية والذاتية

_ نتشه والفلسفة 1962

_ كانط وفلسفته النقدية 1963

_ بروست والعلامات 1964

_ البرغسونية 1966

_ الإختلاف والتكرار _ منطق المعنى 1987

1_اتجاهه:

ويُعرف جيل دلوز برفضه للمفهوم الهايدجري عن " نهاية الميتافيزيقا". وقدم ذات مرة في مقابلة هذا التقييم الذاتي: "أشعر بأنني ميتافيزيقي بحت يقول برغسون بأن العلم الحديث لم يجد ميتافيزيقيته، الميتافيزيقيا التي سيحتاجها. إنها تلك الميتافيزيقيا التي تهمني."
ويتعين علينا الإشارة أيضًا إلى كثرة مراجعه غير الفلسفية (ومن بينها، التفاضل والتكامل، والديناميكا الحرارية، والجيولوجيا، والبيولوجيا الجزيئية، والوراثيات السكانية، والإيثولوجيا، وعلم الأجنة، والأنثروبولوجيا، والتحليل النفسي، والاقتصاد، واللغويات، وحتى الفكر الباطني)، وشهد له زميله جان فرانسوا ليوتار بأنه "مكتبة بابل". وعلى الرغم من أنه لم يتضح بعد ما إذا كان القرن العشرين سيكون دولوزيا، كما مزح صديقه ميشيل فوكو ذات مرة، إلا أن تأثير دلوز تجاوز حدود الفلسفة، حيث يتم الاستشهاد بعمله على نحو مستحسن وتُستعمل مفاهيمه من قبل الباحثين في هندسة العمارة، والدراسات الحضرية، والجغرافيا، ودراسات الأفلام، وعلم الموسيقى، والأنثروبولوجيا، ودراسات الجندر، والدراسات الأدبية ومجالات أخرى.

أحد العوائق التي حالت دون قراءة جيل دلوز بشكل أفضل من بين الفلاسفة الرئيسين هي صعوبة أسلوبه في الكتابة في أعماله الأصلية (على عكس أعماله التاريخية، والتي غالبًا ما تكون نماذج للوضوح والإيجاز). يمكن أن يكون نثر دلوز مخاتل allusive للغاية، كما أنه يعج بالتعابير الجديدة، ومما يزيد الأمر تعقيدا ان هذه المصطلحات المبتكرة تتغير من عمل إلى أخر. وفي حين أن ادعاءات الغموض المتعمد ليس لها ما يبررها، فإن دلوز يقصد بأسلوبه أن يجعل القراء في حالة من التأهب، أو حتى "إجبارهم " force على إعادة التفكير في افتراضاتهم الفلسفية.

2_ المنهج الجينيالوجي الفلسفي عند جيل دلوز:

صرف جيل دلوز فكره للتفكير في قضايا الراهن هو ضمن فلاسفة الإختلاف، طرق مسألة الحياة باعتبارها أفقا اختلافيا يخترقه التكرار والهامش، عندما قرأ نتشه ومن خلال كتابه الإختلاف والتكرار قام بنقد التقليد الفلسفي العقلاني السائد في الحضارة الغربية ومنهجه هو منهج اختلافي من حيث الفكر، مثله مثل جاك دريدا_ فوكو _ هيدغر هدفه هو ترك مسالك الوعي التقليدية التأملية في التفكير والبحث والنقد وتجنب كل الطرق التحليلية والأساليب الاستدلالية العقيمة التي كانت تنتهجها الفلسفات السابقة.

كان دلوز يهتم بالقضايا الهامشية والتي يعتبر هو نفسه مدار التفكير في الحياة الآنية أسئلة استبعدها التاريخ الفلسفي في الحضارة الغربية، مثل الأسئلة المتعلقة بالرغبة، الجسد، اللون، الصورة، فإذن مهمة الفكر هي تناول الأبعاد الجديدة للفكر فإذن هو مفكر ما بعد ميتافيزيقي.

لم يعد التعالي من الآن فصاعدا عند جيل دلوز هو منطق التفكير ولا هو غاية الفكر والفلسفة وإنما صيرورة الحياة، الجسد، الحركة بما هي عوامل حية ومتحركة، هكذا تكون الفلسفة هي فهم لما حولنا والفلسفة هي غياب لهذا التعالي وغنما يميزها هو المحايثة immanence هذه الفكرة تجسد مسألة واقع الحياة الحقيقية.

_ المحايثة: هي فلسفة تشد الخارج وليس الداخل وتتجاوز الفلسفة التقليدية ومأخوذة بهذه الحياة التي نحن في صلبها.

_ الحدث: باعتباره واقعا معاشا فإن المعيش في الواقع وكذا اللحظي هو ما يجعل الواقع يطفو ويكون راهنا

دلوز يسير في خطى نيتشه ويقر بأن الفيلسوف هو الطبيب والفنان، وهذا الحدث كان غائبا في الفلسفات التقليدية.

_ إن التفكير في الحياة لا يعني الركون للمبتذل والاعتيادي أو للحس المشترك وإنما الفكر هو ترحال بين قضايا الحياة وكيفية طرق مواضيع الفن_ الصحة_ السينما والأدب إذن يجب

تخطي وتجاوز الميتافيزيقا التقليدية، إن الارتباط بالحياة هو مسألة ضرورية للفكر الناهض بالاختلاف.

يؤكد دلوز أنه في الحياة تتولد حركية الفكر حيث يحدث الحدث الباعث على التفكير والإبداع والتفلسف، الفكر المرتبط بالحياة فكر يجابه الحماقات التي تعج بها الحياة.

يأخذ دلوز من برغسون فكرة الطاقة الحيوية كنشاط وحركة للفكر داخل هذه الحياة وليست الديمومة التي هي تكرار.

_ الجسد: يقول دلوز إن الحياة هي الواقع الذي يعيشه الإنسان باعتباره جسدا وليس عقلا ووعيا فقط.

الفكر هو هذه العلاقة القوية القائمة بين الجسد الراغب في الحياة والحياة التي يعيشها المرء كجسد، الفلسفة لا بد أن تهتم بطريقة العيش في الحياة ويكون عملها هو الانصراف نحو الاهتمام بالعلاقات الشائكة بين الإنسان الراغب والحياة التي يعيشها المرء كجسد تميل إلى جهة الإختلاف، الذي يحكم منطق انتاج المعنى كإبداع وليس تمثيل أو تصور الفلسفة بل هي إبداع للمفاهيم، وإبداع المفاهيم يكون بالإقبال على الحياة، والدخول في قضايا

الهنا، الآن هنا تكمن أهمية فلسفة جيل دلوز بما هي تجسيد لهذا التوجه المختلف في طرق مسائل من صميم هذه الحياة.

3_ الفلسفة هي إبداع للمفاهيم:

فإذا كانت الفلسفة ليست تفكيرا شاملا أو تأملا أو تواصلا، فما هي مهمة الفلسفة؟ قد يكون دلوز على حقيقة حين جرد الفلسفة من طابعها الكلي التجريدي والنسقي في عصر يشهد التعدد والاختلاف، وقد تكون غاية دلوز الأساسية هي أن يجعل للفلسفة موضوعا خاصا بها، يميزها عن باقي العلوم الأخرى التي أصبحت تلعب دورا مهما في المرحلة المعاصرة.

ولهذا فدو لوز لا ينكر أهمية هذه العلوم بل ينبغي ان تكون علوما مبدعة بدورها، حتى وإن كان إبداع المفاهيم بالمعنى الدقيق يرجع إلى الفلسفة وحدها. لا تكون المفاهيم في انتظارنا

وهي جاهزة كما لو كانت أجساما سماوية، ليست هناك سماء للمفاهيم. بل ينبغي ابتكارها وصنعها وبابتكار المفاهيم يكون هناك البديل والتغير والإختلاف الذي يؤكد عليه دلوز فيما بعد.

بمعنى يجب على الفيلسوف أن يبدع المفاهيم الخاصة به، وألا يعمل على الاشتغال على المفاهيم السابقة وكأنها مفاهيم مقدسة ، لأن المفاهيم وليدة مجتمعاتها وثقافتها وعلى الفلسفة ان تكون وليدة زمانها، ولا بد أن يكون هناك هدف أو حاجة تدفع الفيلسوف إلى خلق هذه المفاهيم، وابداعها من جديد لأنه لا الفنان ولا صانع أفلام يرسم أو ينتج فلما سينمائيا بلا هدف أو حاجة تدفعه إلى إبداع ذلك، فمهمة الفن حسب دلوز هي إبداع العلامات التي بدورها ستدفعنا خارج عادتنا الحسية المألوفة إلى حالات الإبداع ولهذا يرى أن الفن لا يمكن أن يكون فنا مجردا، ولكن يمكن أن يكون محسوسا فحسب.

لقد استمد دلوز فكرة إبداع المفاهيم من الفيلسوف الألماني نيتشه حين قال لا ينبغي أن يكتفي الفلاسفة بقبول المفاهيم التي تمنح لهم مقتصرين على صقلها وإعادة بريقيها، وإنما عليهم إبداعها وطرحها وإقناع الناس باللجوء إليها ولهذا يتوجب على الفيلسوف أن يتوخى الحذر دائما من المفاهيم التي تتناقل من فيلسوف إلى آخر، بل يجب أن يعمل هو بنفسه على خلقها. لكن السؤال هو: كيف يتم خلق هذه المفاهيم؟

4_ خلق المفهوم:

يتولد المفهوم حسب دلوز حين قوم فيلسوف بنقد فيلسوف آخر، حيث يعملان على إذابة المفاهيم القديمة وإبداع أخرى جديدة، لهذا يرى دولوز أن أولئك الذين ينتقدون دون أن يبدعوا أي مفاهيم، فهم ينتقدون بأدوات ليست بأدواتهم مثل (الجدل الهيغلي، والنقد الكانطي أو الكوجيتو الديكارتي) فهذه أدوات تقليدية في التفكير، قد يكون لها دور في زمانها أما اليوم فلا بد من وجود أدوات جديدة ومفاهيم مستقلة بذاتها، لهذا يؤكد دولوز على أن مهمة الفيلسوف الأساسية هي إبداع المفاهيم والدفاع عنها، ولكن كيف يمكننا تمييز المفهوم الفلسفي عن غيره من المفاهيم؟

يجيب دولوز أن المفهوم الفلسفي "ليس تمثيليا ولكنه تركيبي؛ ليس إسقاطيا وإنما هو اقتراني، ليس تراتبيا وإنما تجاوري، لا يحيل على غيره وإنما هو قائم بذاته"، أي أن المفهوم لا يخلق من مفهوم آخر بل هو يخلق من ذاته ولكن بشكل تجاوري، له علاقة بالواقع ومشكلاته.

خَلُص دولوز إلى أن مهمة الفلسفة لا هي بتفكير ولا بتأمل، بل مهمتها الأساسية تكمن في خلقها للمفاهيم وإبداعها

وبما أن الفلسفة هي إبداع للمفاهيم، فهي في حاجة إلى شخصيات مفهومية، تساهم في تحديد هذه المفاهيم والتعريف بها وخلقها كذلك، لهذا نجد معظم الفلاسفة أبدعوا شخصياتهم المفهومية، التي في الغالب ما تحمل أسماء مختلفة؛ إما أسماء علم مثل: شخصية سقراط عند أفلاطون، وزرادشت عند نيتشه، غير أن هذه الشخصيات في غالب الأحيان تكون هي بمثابة المحور داخل فلسفتهم، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عمّن يتحدث، هل الفيلسوف أم الشخصية المفهومية؟

حقا إن إبداع المفاهيم من خصائص الفلسفة ولا شيء غيرها، وهذا ما يجعلها تكتسب مشروعيتها في كل مكان وفي كل علم حاول توظيف مفاهيمها، ولكن في المرحلة المعاصرة، ظهرت بعض المجالات المنافسة للفلسفة في مهمتها، مثل علم الاجتماع ومجال المعلومات والاتصالات والترويج التجاري، مما جعل دولوز يرفض رفضا قاطعا نظرية هابرماس التواصلية، لأنها تُدخل الفلسفة في نقاش مع قوى تعمل على قلب كوجيتو الفكر والوجود، إلى كوجيتو البيع والسلعة، حيث أصبح الفيلسوف هو الشخص القادر على التأثير في الأشخاص الآخرين أثناء عرضه للمنتوج.

فمجال الربح والبيع، يجعل قيمة الفلسفة تتراجع ويكون ليس لها أي دور تؤديه فإذن ينبغي إعادة فهم دورها من جديد؛ لأنها لا تنتج السلع بقدر ما تنتج المفاهيم والقيم. ولهذا السبب يجب أن تكون هذه المفاهيم الفلسفية قوية؛ كي تستطيع أن تقاوم وتدافع عن نفسها. ولكن

ألا يمكننا القول إن حصر مهمة الفلسفة في إبداع المفاهيم، هو من جعل الفلسفة تنظر إلى هذه المجالات الحديثة كمنافس لها؟

خاتمة:

في الختام ما يمكن الوصول إليه هو أن فلسفة دلوز تتميز بتأكيدها على القوة الفاعلة للفرد في تشكيل الحقيقة والواقع، وتحفيزها للتفكير المبتكر والتحرر من القيود الاجتماعية والثقافية المفروضة. من خلال التركيز على المشاعر والاحتمالات والأفكار الإبداعية، تشجع فلسفة دلوز على اكتشاف الذات وتجاربها الشخصية بما يساهم في بناء عالم يسوده التسامح والحرية.

في الختام، فلسفة جيل دلوز تتركنا بتحديات مثيرة وأفكار ملهمة، تدفعنا للتفكير في مفهوم الذات والواقع بطرق جديدة ومبتكرة. ومن خلال تبني هذه الروح الحرة والمفعمة بالإبداع، يمكننا أن نحقق تطورًا وتغييرًا إيجابيًا في عالمنا وفي أنفسنا.

_ **يوسف امجيدة**، جيل دولوز: مهمة الفلسفة ليست التفكير ولا هي تأمل، مجلة العرب، https://alarab.co.uk ، 2022/04/24

_ عادل حدجامي، فلسفة جيل دلوز عن الوجود والإختلاف، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2012.

_ أحمد فؤاد الأهواني، المدارس الفلسفية، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة، 2023.

_ هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكرياء، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة، 2022.